القصص العالمية

الأميرُ السَّعيدُ







أوسْكار وَايلْد ١٨٥٤ - ١٩٠٠

وُلِدَ في دَبْلِن، وتَلَقّى عُلومَهُ فيها وفي جامِعَةِ أُكسْفورْد. يُعَدُّ واحِدًا من كِبارِ الأُدَباءِ العالَمِيّينَ في العَصْرِ الحَديثِ. هَيَّأَتْ لَهُ مَهارَتُهُ في الحِوارِ وفي عَرْضِ الأَفْكارِ النّادِرَةِ، وجُرْأَتُهُ في الأَفْكارِ السّاخِرَةِ، مَكانَةً عالِيَةً في المُجْتَمَعِ، وكانَتْ مِنَ العَناصِرِ الأَساسِيَّةِ التي بُنِيَتْ عَلَيْها شُهْرَتُهُ الأَدَبِيَّةُ.

بَرَعَ في الشِّعْرِ والمَقالَةِ والرِّوايَةِ والمَسْرَحِيَّةِ. مِنْ كُتُبِهِ: «قَصائِد» (١٨٨١)، «مَقاصِد» (١٨٩١) وهو مَجْموعَةُ مَقالاتٍ، «صورَةُ دورْيان غِراي» (١٨٩١) وهو رِوايَةٌ. ومِنْ مَسْرَحِيّاتِهِ الناجِحَةِ: «مِرْوَحَةُ اللّيدي وَنْدِرْمير» (١٨٩٢).

وفي كِتابِ «الأَمير السَّعيد» (١٨٨٨)، الذي يَسُرُّنا أَنْ نُقَدِّمَهُ اليَوْمَ إلى القارِئِ العَرَبِيِّ، أَحْداثٌ مُشَوِّقَةٌ تَكْشِف عَمّا في أَعْماقِ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ مِنْ خَيْرٍ وجَمالٍ. وفيه يَسْتَخْدِمُ المُؤَلِّفُ الأُسْطورَةَ لِيُعْطِي أَفْكارَهُ قُوَّةَ إيحاءٍ وزَخْمًا. ويَزيدُ الكِتابَ تَشْويقًا الرُّسومُ المُلَوَّنَةُ الرّائِعَةُ التي تُزَيِّنُ صَفَحاتِهِ.

سلسلة «القصص العالمّية»

١ - جَزيرَةُ الكَنْز
٢ - أُسْرَةُ روبِنْسُن السّويسرِيَّة
٣ - الحَديقَةُ السِّرِّيَّة
٤ - رِحْلَةٌ إلى باطِنِ الأَرْض
٥ - قِصَّةُ مَدينَتَيْن
٦ - العالَمُ المَفْقود
٧ - الفُرْسانُ الثَّلاثَة
٨ - شَبَحُ باسْكِرْفيل
٩ - كُنوزُ المَلِكِ سُلَيْمان
١٠ - حَوْلَ العالَم في ثمانينَ يَوْمًا
١١ - أُنْشودَةُ العيد
١٢ - الرّيحُ والصَّفْصاف
١٣ - الأَميرُ السَّعيد
١٤ - جَزيرَةُ الأَحْلام
١٥ - المُحارِبُ الأَخير

القصص العالمية

الأميرُ السَّعيدُ



إعداد: الدّكتور ألبير مُطْلق
عَن الأديب: أوسكار وَايلد
رُسُوم: غوِن وَ شيرلي تورِت

مكتبة لبنان



الأميرُ السَّعيدُ

كانَ يَعيشُ في قَديمِ الزَّمانِ أَميرٌ شابٌّ، حَباهُ الله بِكُلِّ ما يَشْتَهي. لَمْ يَعْرِفْ يَوْمًا الحُزْنَ، ولا عَرَفَ يَوْمًا البُكاءَ. فدَعاهُ النّاسُ «الأَميرَ السَّعيدَ».

لَكِنْ، جاءَ يَوْمٌ ماتَ فيهِ الأَميرُ. فحَزِنَ النّاسُ حُزْنًا عَظيمًا وصَنَعوا لَهُ تِمْثالًا مِنَ الرَّصاصِ يُذَكِّرُهُمْ بِهِ. وقَدْ جُعِلَتْ ثِيابُ التِّمْثالِ مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ وجُعِلَتِ العَيْنانِ مِنْ حِجارَةِ الفَيْروزِ. بَدا التِّمْثالُ شَديدَ الشَّبَهِ بِصاحِبِهِ، ولمّا اطْمأَنَّ السُّكانُ إِلَيْهِ رَفَعوه فَوْقَ عَمودٍ نُصِبَ في ساحَةِ المَدينَةِ لِيَتَمَكَّنَ أَبْناؤُها كُلُّهُمْ مِنْ رُؤْيَتِهِ.

وفَصْلُ الشِّتاءِ في بَلَدِ ذَلِكَ الأَميرِ بارِدٌ جِدًّا، فتُهاجِر طُيورُ السُّنونو في الخَريفِ إلى مَناطِقَ بَعيدَةٍ دافِئَةٍ. لكِنْ، حَدَثَ في ذلِكَ العامِ أَنَّ طائِرَ سُنونو صَغيرًا لَمْ يَرْحَلْ مَعَ رِفاقِهِ الطُّيور. لَقَدْ كانَ يَعْشَقُ القَصَبَ العالِيَ المُحيطَ بإحْدى البُحيراتِ، فتَخَلَّفَ هُناكَ أَيّامًا. أَخيرًا وجَدَ نَفْسَهُ وَحيدًا فأَزمَعَ عَلى الرَّحيلِ ووَدَّعَ القَصَباتِ الَّتي يُحِبُّ وطارَ.



وَصَلَ السُّنونو في تِلْكَ اللَّيْلَةِ إلى المَدينَةِ فتَوَقَّفَ يَسْتَريحُ. وكانَ أَنِ اسْتَقَرَّ فَوْقَ قِمَّةِ عَمودِ التِّمْثالِ، بَيْنَ قَدَمَيِ الأَميرِ! وبَيْنَما كانَ السُّنونو الصَّغيرُ يُوْشِكُ أَنْ يَنامَ سَقَطَتْ على رَأْسِهِ قَطْرَةُ ماءٍ. رَفَعَ عَيْنَيْهِ إلى السَّماءِ فلَمْ يَجِدْ سُحُبًا. ثُمَّ سَقَطَتْ فوقَهُ قَطْرَةٌ أُخْرى فأُخرى. رَفَعَ عَيْنَيْهِ ثانِيَةً فأَدْرَكَ أَنَّ القَطَراتِ لَمْ تَكُنْ مَطَرًا بَلْ دُموعًا! لَقَدْ كانَ التِّمْثالُ يَذْرُفُ الدُّموعَ!

قالَ السُّنونو: «مَنْ أَنْتَ؟»

أَجابَ التِّمْثالُ: «أَنا الأَميرُ السَّعيدُ.»

فسَأَلَ السُّنونو: «ولِمَ تَبْكي، إذًا؟»

«أَبْكي لِما في مَدينَتي مِنْ مَشاهِدَ مُحْزِنَةٍ. كُنْتُ في حَياتي أَعيشُ في قَصْرٍ فلَمْ أَرَ أَيًّا مِنْ هذِهِ المَشاهِدِ. أَمّا الآنَ فإنّي أَرى مِنْ مَكاني العالي كُلَّ شَيْءٍ. وأَنا لِذَلِكَ حَزينٌ جِدًّا.»

سَأَلَ السُّنونو: «وما الَّذي تَراهُ؟»

أَجابَ الأَميرُ: «أَرى بَيْتًا قائِمًا في شارِعٍ فَقيرٍ بَعيدٍ. وفي إحْدى غُرَفِ البَيْتِ أَرى امْرَأَةً فَقيرَةً مُنْهَمِكَةً في صُنْعِ ثَوْبٍ لإحْدى وَصيفاتِ المَلِكَةِ. ولِلمَرْأَةِ وَلَدٌ مَريضٌ يَنامُ في سَريرٍ مُجاوِرٍ. ولَيْسَ عِنْدَ الأُمِّ مالٌ تَسْتَدْعي



بِهِ طَبيبًا، ولا عِنْدَها شَيْءٌ تُقَدِّمُهُ لابْنِها الصَّغيرِ سِوى الماءِ. أَظُنُّ أَنَّ الفَتى سيَموتُ. هَلْ لَكَ، أَيُّها السُّنونو الصَّغيرُ، أَنْ تَنْتَزِعَ الجَوْهَرَةَ الحَمْراءَ مِنْ مَقْبِضِ سَيْفي وتَحْمِلَها إلى تِلْكَ المَرْأَةِ؟ أَنا لا أَقْدِرُ عَلى مُغادَرَةِ هذا المَكانِ فقَدَماي مُلْتَصِقَتانِ بالعَمودِ.»

قالَ السُّنونو: «لَكِنَّني مُسافِرٌ إلى الجَنوبِ، حَيْثُ الدِّفْءُ. سَبَقَني رِفاقي مِنَ الطُّيورِ، وإذا لَمْ أُسْرِعْ ضَيَّعْتُ طَريقي.»

تَوَسَّلَ الأَميرُ إلى الطّائِرِ قائِلًا: «أَرْجوكَ، أَيُّها السُّنونو الصَّغيرُ، إبْقَ مَعي لَيْلَةً واحِدَةً وحَقِّقْ لي طَلَبي.»

قالَ السُّنونو: «ولَكِنّي لا أُحِبُّ الأَوْلادَ، بَعْضُهُمْ كانَ يَرْميني بِالحِجارَةِ.»

«هذا الوَلَدُ مَريضٌ جِدًّا. أَرْجوكَ أَيُّها السُّنونو الصَّغيرُ.»

«لا بَأْسَ. أَبْقى مَعَكَ لَيْلَةً واحِدَةً فَقَطْ».

وهَكَذا انْتَزَعَ السُّنونو الجَوْهَرَةَ الحَمْراءَ وطارَ بِها. مَرَّ في طَريقِهِ بِبَيْتٍ كَبيرٍ حَيْثُ كانَتْ وَصيفَةُ المَلِكَةِ تَعيشُ.

وسَمِعَها تَقولُ:





«آمُلُ أَنْ يَكونَ ثَوْبي جاهِزًا وَقْتَ الحَفْلَةِ. فَتِلْكَ الخَيّاطَةُ الكَسولُ بَطيئَةٌ جِدًّا. إذا لم تُعَجِّلْ في عَمَلِها فلَنْ يَكونَ الثَّوْبُ جاهِزًا إلا بَعْدَ فَواتِ الأَوانِ.»

تابَعَ السُّنونو الصَّغيرُ طَيَرانَهُ إلى أَنْ وَصَلَ إلى بَيْتِ المَرْأَةِ الفَقيرَةِ. كانَ الوَلَدُ المَريضُ يَتَقَلَّبُ في سَريرِهِ، أَمّا أُمُّهُ فكانَ قَدْ أَنْهَكَها التَّعَبُ وغَلَبَها النَّوْمُ فَوْقَ طاوِلَةِ عَمَلِها. قَفَزَ السُّنونو عَبْرَ النّافِذَةِ ووَضَعَ الجَوْهَرَةَ الحَمْراءَ بَيْنَ يَدَيِ المَرْأَةِ لِتَراها عِنْدَما تَسْتَيقِظُ مِنْ نَوْمِها، ثُمَّ حَوَّمَ فَوْقَ الفَتى المَريضِ وصَفَّقَ بِجَناحَيْهِ.

قالَ الفَتى: «ما أَلْطَفَ الجَوَّ الآنَ! لا بُدَّ أَنَّ حَرارَتي العالِيَةَ انْخَفَضَتْ.»

ثُمَّ نامَ نَوْمًا هانِئًا.

طارَ السُّنونو عائِدًا إلى الأَميرِ السَّعيدِ لِيُخْبِرَهُ بِما فَعَلَ. ثُمَّ قالَ: «إِنَّهُ لَأَمْرٌ غَريبٌ. لَقَدْ زايَلَني الشُّعورُ بِالبَرْدِ.»

قالَ الأَميرُ: «ذلِكَ أَنَّكَ قُمْتَ بِعَمَلِ خَيْرٍ.»

عَلى أَيِّ حالٍ، لَقَدْ كانَ السُّنونو لا يَزالُ راغِبًا في الهِجْرَةِ إلى البِلادِ الدّافِئَةِ حَيْثُ ارْتَحَلَ إِخْوَتُهُ وأَخَواتُهُ.

فقالَ الأَميرُ: «لا تَذْهَبِ الآنَ، أَيُّها السُّنونو الصَّغيرُ. فإِنّي أَرى شابًّا فَقيرًا يَسْكُنُ غُرْفَةً بارِدَةً لا نارَ فيها. إِنَّهُ يُحاوِلُ الكِتابَةَ لكِنَّهُ، مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ، لا يَقْوى على الإِمْساكِ بِالقَلَمِ. ولَيْسَ عِنْدَهُ طَعامٌ».

سأَلَ السُّنونو قائِلًا: «أَتُريدُني أَنْ أَنْتَزِعَ جَوْهَرَةً أُخْرى مِنْ مَقْبِضِ سَيْفِكَ وأَحْمِلَها إِلَيْهِ؟»

أَجابَ الأَميرُ: «لَمْ يَكُنْ في مَقْبِضِ السَّيْفِ إلا جَوْهَرَةٌ واحِدَةٌ.»

فانْتَزِعْ إِحْدى عَيْنَيَّ، لِأَنَّهُما مَزْروعَتانِ بالفَيْروزِ الثَّمينِ.»

صاحَ السُّنونو: «لكِنْ، لا أَقْوى عَلى ذَلِكَ!»

فَتوَسَّلَ الأَميرُ قائِلًا: «أَرْجوكَ، افْعَلْ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ.»

اِنْتَزَعَ السُّنونو إِحْدَى عَيْنَي الأَميرِ وطارَ بِها فَوْقَ رُؤوسِ المَداخِنِ صَوْبَ غُرْفَةِ الشّابِّ الفَقيرِ.

دَخَلَ الغُرْفَةَ مِنْ فُتْحَةٍ في السَّقْفِ، وأَسْقَطَ الجَوْهَرَةَ في باقَةِ أَزْهارٍ كانَتْ عَلى الطّاوِلَةِ. وعِنْدَما رَأى الشّابُّ تِلْكَ الجَوْهَرَةَ ظَنَّ أَنَّ أَحَدَ المُعْجَبينَ بِكِتاباتِهِ أَرْسَلَها لَهُ مَعَ باقَةِ الأَزْهارِ. سَرَّهُ ذلِكَ سُرورًا عَظيمًا حَتّى نَسِيَ جوعَهُ وراحَ يَكْتُبُ بِحَرارَةٍ وأَمَلٍ، وقالَ:

«الآنَ أَسْتَطيعُ أَنْ أَدْفَعَ إيجارَ غُرْفَتي وأَشْتَرِيَ طَعامًا.»



طارَ السُّنونو عائِدًا إلى الأَميرِ لِيَنْقُلَ إِلَيْهِ الخَبَرَ السّارَّ، وقالَ: «والآنَ، إلى اللِّقاءِ. سأَعودُ إلَيْكَ في الرَّبيعِ المُقْبِلِ وآتيكَ بِجَوْهَرَةٍ حَمْراءَ لِمَقْبِضِ سَيْفِكَ وجَوْهَرَةٍ زَرْقاءَ لِعَيْنِكَ».

تَوَسَّلَ الأَميرُ قائِلًا: «لا تَذْهَبِ الآنَ. أُنْظُرْ هُناكَ. أَتَرى تِلْكَ الفَتاةَ الصَّغيرَةَ؟ كانَتْ تُحاوِلُ بَيْعَ عُلَبِ الكِبْريتِ، لكِنَّ عُلَبًا سَقَطَتْ مِنْ يَدَيْها البارِدَتَيْنِ ولَمْ تَعُدْ صالِحَةً. وسيَضْرِبُها أَبوها حينَ تَعودُ إلى بَيْتِها. عَلَيْكَ أَنْ تَنْتَزِعَ جَوْهَرَةَ عَيْني الثّانِيَةِ وتَحْمِلَها إلَيْها.»

صاحَ السُّنونو: «لكِنْ إنْ أَنا فَعَلْتُ ذلِكَ، فلَنْ تَقْوى على الإبْصارِ أَبَدًا! ستَكونُ أَعْمى.»

تَوَسَّلَ الأَميرُ قائِلًا: «أَرْجوكَ، افْعَلْ ما أَطْلُبُهُ مِنْكَ.»

اِنْتَزَعَ السُّنونو الجَوْهَرَةَ الزَّرْقاءَ وحَمَلَها إلى الفَتاةِ الصَّغيرَةِ ووَضَعَها في يَدِها. فابْتَسَمَتِ الفَتاةُ ابْتِسامَةَ فَرَحٍ، وقالَتْ: «ما أَجْمَلَها!» ثُمَّ رَكَضَتْ إلى بَيْتِها وأَعْطَتْها لِأَبيها الَّذي لَنْ يَضْرِبَها بَعْدَ الآنَ.

طارَ السُّنونو عائِدًا، وقالَ لِلأَميرِ: «لا أَقْوى عَلى تَرْكِكَ الآنَ وقَدْ فَقَدْتَ بَصَرَكَ. سأَبْقى مَعَكَ دائِمًا لِأَكونَ عَيْنَيْكَ اللَّتَيْنِ تَرى بِهِما.»



راحَ البَرْدُ يَشْتَدُّ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. وحَكى السُّنونو لِلأَميرِ حِكاياتٍ عَنِ البِلادِ الدّافِئَةِ الَّتي ارْتَحَلَ إلَيْها إخْوَتُهُ وأَخَواتُهُ الطُّيورُ. ولَمْ يَكُنِ السُّنونو يَشْعُرُ، في أَثْناءِ حَديثِهِ، بِبَرْدٍ قارِسٍ. وكانَ يَطيرُ، نُزولًا عِنْدَ رَغْبَةِ الأَميرِ، فَوْقَ المَدينَةِ لِيَنْقُلَ إلَيْهِ أَحْوالَ النّاسِ. وقَدْ رَأى في جَولاتِهِ مَنازِلَ واسِعَةً يَسْكُنُها الأَغْنياءُ، ورَأى أَزِقَّةً مُعْتِمَةً تَزْدَحِمُ فيها الأَكْواخُ الحَقيرَةُ الفَقيرَةُ. كانَ لِأَبْناءِ الفُقَراءِ وُجوهٌ ناحِلَةٌ شاحِبَةٌ تَفْتَقِدُ حَرارَةَ الغِذاءِ. ورَأى السُّنونو، ذاتَ يَوْمٍ، طِفْلَيْنِ يَضْطَجِعانِ مُلْتَصِقَيْنِ تَحْتَ جِسْرٍ طَلَبًا لِلدِّفْءِ. اِقْتَرَبَ شُرْطِيٌّ مِنَ الطِّفْلَيْنِ وأَمَرَهُما بِالذَّهابِ إلى البَيْتِ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ أَنْ لا بَيْتَ لَهُما يَعودانِ إلَيْهِ. فما كانَ إلّا أَنْ نَهَضا ومَشَيا تَحْتَ المَطَرِ يَدًا بِيَدٍ.

سَمِعَ الأَميرُ حِكايَةَ الطِّفْلَيْنِ فحَزِنَ حُزْنًا شَديدًا، وقالَ: «ما عادَ عِنْدي جَواهِرُ، لكِنَّ ثِيابي مَصْنوعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ. عَلَيْكَ أَنْ تَنْتَزِعَ قِطْعَةً مِنْها وتَحْمِلَها إلى الطِّفْلَيْنِ المِسْكينَيْنِ.»

وصارَ السُّنونو في كُلِّ يَوْمٍ يَكْتَشِفُ مَنْ يَحْتاجُ إلى عَوْنٍ. ولَمْ يَمْضِ وَقْتٌ طَويلٌ حَتّى كانَتْ ثِيابُ الأَميرِ الذَّهَبِيَّةُ كُلُّها قَدْ وُزِّعَتْ عَلى الفُقَراءِ والمُحْتاجينَ. وبَدا الأَميرُ فَوْقَ العَمودِ رَمادِيًّا باهِتًا. غَيْرَ أَنَّ وُجوهَ الأَطْفالِ لَمْ تَعُدْ ناحِلَةً شاحِبَةً، فَقَدْ تَوَرَّدَتْ وَجَناتُهُمْ واشْتَدَّتْ سَواعِدُهُمْ ونَمَتْ أَجْسادُهُمْ. وأَخَذوا يَلْعَبونَ في الشَّوارِعِ مَرِحينَ.

ثُمَّ جاءَ مَوْسِمُ الثُّلوجِ، واشْتَدَّ وَقْعُ البَرْدِ في جَسَدِ السُّنونو الصَّغيرِ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَتْرُكْ صَديقَهُ الأَميرَ. أَخيرًا أَحَسَّ بِاقْتِرابِ نِهايَتِهِ فهَمَسَ قائِلًا: «وَداعًا أَيُّها الأَميرُ العَزيزُ.» ثُمَّ سَقَطَ عِنْدَ قَدَمَي الأَميرِ مَيِّتًا.

أَجابَ الأَميرُ: «وَداعًا» ثُمَّ انْكَسَرَ شَيْءٌ داخِلَ صَدْرِهِ. وكانَ ذَلِكَ قَلْبَهُ!



فِي اليَوْمِ التّالي، مَرَّ رَئيسُ البَلَدِيَّةِ وأَعْضاءُ المَجْلِسِ البَلَدِيِّ في ساحَةِ المَدينَةِ ورَأَوا التِّمْثالَ.

هَتَفَ أَحَدُهُمْ: «يا لَطيف! ما أَبْشَعَ مَنْظَرَ أَميرِنا! لَقَدِ اخْتَفَتْ جَواهِرُهُ وسُرِقَ ثَوْبُهُ الذَّهَبِيُّ.»

وصاحَ آخَرُ: «أُنْظُروا! إِنَّ بَيْنَ قَدَمَيْهِ طائِرًا مَيِّتًا! لا نُريدُ مِثْلَ هذا المَشْهَدِ المُقْرِفِ هُنا! عَلَيْنا أَنْ نَرْمِيَهُ بَعيدًا!»

قالَ آخَرُ: «بَلِ الأَحْسَنُ أَنْ نَقْتَلِعَ التِّمْثالَ أَيْضًا. سَنُقيمُ مَكانَهُ تِمْثالًا أَحْسَنَ مِنْهُ. تِمْثال مَنْ نُقيمُ هذِهِ المَرَّةَ؟»





أَجابَ رَئيسُ البَلَدِيَّةِ مِنْ فَوْرِهِ: «تِمْثالي أَنا، طَبْعًا.»

وهكَذا أَنْزَلوا تِمثالَ الأَميرِ وأَذابوا رَصاصَهُ لِيَصْنَعوا مِنْ مَعْدِنِهِ تِمْثالًا آخَرَ لِرَجُلٍ آخَرَ. لَكِنَّ العُمّالَ وَجَدوا داخِلَ التِّمْثالِ قَلْبًا مَكْسورًا لَمْ يَذُبْ فَرَمَوْه فَوْقَ كَوْمَةٍ مِنَ النُّفاياتِ، حَيْثُ كانَ السُّنونو الصَّغيرُ مَرْمِيًّا أَيْضًا.

في تِلْكَ اللَّيْلَةِ، هَبَطَ مِنْ بَيْنِ الغُيومِ طَيْفانِ مُجَنَّحانِ وحَمَلا القَلْبَ المَكْسورَ والسُّنونو المَيِّتَ، وطارا بِهِما إلى الفَضاءِ. وقالَ أَحَدُ الطَّيْفَيْنِ لِرَفيقِهِ: «كُنّا نَبْحَثُ عَنْ أَغْلى شَيْئَيْنِ في هذِهِ المَدينَةِ، وقَدْ وَجَدْناهُما.»



اِبْنُ النُّجومِ

في قَديمِ الزَّمانِ، حَدَثَ أَنْ كانَ حَطّابانِ عائدَيْنِ إلى بَيْتِهما بَعْدَ نَهارٍ مِنَ العَمَلِ الشّاقِّ. كانا مُتْعَبَيْنِ ويَشْعُرانِ بِبَرْدٍ شَديدٍ وهُما يَسيرانِ فَوْقَ طَبَقَةٍ كَثيفَةٍ مِنَ الثَّلْجِ.

عِنْدَما خَرَجا مِنَ الغابَةِ كانَتِ السَّماءُ مُكْفَهِرَّةً وفَجْأَةً لَمَعَ شَيْءٌ في الفَضاءِ كَأَنَّهُ البَرْقُ.

قالَ أَحَدُ الحَطّابَيْنِ: «تَمَنَّ شَيْئًا! فَتِلْكَ نَجْمَةٌ هاوِيَةٌ - إِنَّها تَجْلِبُ الحَظَّ!»

قالَ الآخَرُ: «لَقَدْ سَقَطَتْ في تِلْكَ الحَرَجَةِ (الدَّغَلِ). لَعَلَّنا نَجِدُ ذَهَبًا في مَوْضِعِ سُقوطِها. وسيَكونُ مِلْكَ مَنْ يَجِدُهُ!»

رَكَضَ الحَطّابانِ كِلاهُما ناحِيَةَ الحَرَجَةِ وراحا يُفَتِّشانِ. وكِلاهُما رَأى مِنْ بَعيدٍ شَيْئًا يُشِعُّ كَالذَّهَبِ. وكانَ أَحَدُهُما أَسْرَعَ مِنَ الآخَرِ فوَصَلَ أَوَّلًا. صاحَ: «إنَّهُ رِداءٌ أَبْيَضُ ذو نُجومٍ ذَهَبِيَّةٍ.» ثُمَّ رَدَّ طَرَفَ الرِّداءِ فوَجَدَ في داخِلِهِ طِفْلًا يَنامُ نَوْمًا هانِئًا. أَحَسَّ الحَطّابُ بِخَيْبَةِ أَمَلٍ، فَقَدْ كانَ يَرْجو أَنْ يَجِد مالًا كَثيرًا يَنْقُلُهُ مِنْ حالِ الفَقْرِ إلى حالِ الغِنى.

قالَ: «ما أَكْسِبُهُ لا يَكادُ يَكْفي لإطْعامِ أَوْلادي. فَلْنَتْرُكْ هذا الطِّفْلَ هُنا.»

أَجابَ الحَطّابُ الآخَرُ: لا نَسْتَطيعُ أَنْ نَتْرُكَهُ هُنا. فسَيَموتُ مِنَ البَرْدِ.» ثُمَّ حَمَلَ الطِّفْلَ بَيْنَ ذِراعَيْهِ ومَشى إلى بَيْتِهِ. فَتَحَتْ زَوْجَتُهُ البابَ فَرِحَةً بِعَوْدَتِهِ، وبادَرَتْهُ بِالسُّؤالِ عمّا بَيْنَ يَدَيْهِ.

كَشَفَ الحَطّابُ عَنِ الطِّفْلِ النّائِمِ، وقالَ: «وَجَدْتُهُ في الغابَةِ.»

صاحَتِ الزَّوْجَةُ: «لا أُريدُهُ! أَنَسيتَ أَنَّ ما نَكْسِبُهُ لا يَكادُ يَكْفي لإطْعامِ أَوْلادِنا.»

ثُمَّ قالَتْ: «خُذْهُ مِنْ هُنا! لا أُريدُهُ.»



كانَ الحطّابُ يَعْلَمُ أَنَّ زَوْجَتَهُ رَقيقَةُ القَلْبِ، وأَنَّها كانَتْ تَرْفُضُ الطِّفلَ خَوْفَ اشْتِدادِ الفَقْرِ. فانْتَظَرَ واقِفًا بِالبابِ، بَيْنَما أَدارَتِ المَرْأَةُ ظَهْرَها وراحَتْ تُحَرِّكُ قِدْرًا فَوْقَ النّار. ثُمَّ هَبَّتْ عَبْرَ البابِ المَفْتوحِ ريحٌ جَليدِيَّةٌ، فأَحَسَّتِ المَرْأَةُ بِالنَّدَمِ، وقالَتْ في نَفْسِها: «كَيْفَ أَتَخَلّى عَنْ طِفْلٍ في لَيْلَةٍ جَليدِيَّةٍ كَهذِهِ اللَّيْلَةِ؟» وأَسْرَعَتْ تَقولُ لِزَوْجِها: «أُدْخُلْ وأَغْلِقِ البابَ.»

دَخَلَ الحَطّابُ ووَضَعَ الطِّفْلَ بَيْنَ ذِراعَيْ زَوْجَتِهِ. فتَرَقْرَقَتْ عَيْنا الزَّوْجَةِ بِالدُّموعِ وقَبَّلَتِ الطِّفْلَ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ في السَّريرِ إلى جانِبِ طِفْلٍ مِنْ أَطْفالِها.

في صَباحِ اليَوْمِ التّالي وَضَعا الرِّداءَ الأَبْيَضَ ذا النُّجومِ في صُندوقٍ. ووَضعا مَعَهُ أَيْضًا سِلْسِلَةً ذَهَبِيَّةً وَجداها حَوْلَ عُنُقِ الطِّفْلِ.

قالَتِ الزَّوْجَةُ: «نَبيعُ السِّلْسِلَةَ والرِّداءَ ونَشْتَري بِثَمَنِهِما طَعامًا.»

أَجابَ الحَطّابُ: لَيْسا مِلْكًا لَنا. لَعَلَّ أَحَدًا يَأْتي في المُسْتَقْبَلِ يَبْحَثُ عَنِ الطِّفْلِ، فنَرُدَّهُما إلَيْهِ.»



وهكَذا عاش ابْنُ النُّجومِ مَعَ الحَطّابِ وزَوْجَتِهِ وكأَنَّهُ واحِدٌ مِنْ أَوْلادِهِما. وكانَ بَهِيَّ الطَّلْعَةِ ذا شَعْرٍ ذَهَبِيٍّ وعَيْنَيْنِ زَرْقاوَيْنِ. لكِنَّ تَصَرُّفاتِهِ لَمْ تَكُنْ حَسَنَةً كَشَكْلِهِ الحَسَنِ. فقَدْ كانَ دائِم الادِّعاءِ أَمامَ أَبْناءِ الحَطّابِ أَنَّهُ ابْنُ مَلِكٍ ومَلِكَةٍ يَعيشانِ فَوْقَ إحْدى النَّجماتِ، لا في كوخٍ حَقيرٍ. لَمْ يَكُنْ يُساعِدُ أَحَدًا، ولا يَرْضى إلّا أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ الأَحْسَنَ بَيْنَ الأَشْياءِ. وكانَ شَديدَ الإعْجابِ بِنَفْسِهِ، وكَثيرًا ما كانَ يَذْهَبُ إلى الحَديقَةِ يَتَأَمَّلُ وَجْهَهُ المُنْعَكِسَ عَلى ماءِ البِئْرِ، ويَقولُ: «ما أَبْهى طَلْعَتي!»

وكانَ، إلى ذلِكَ، قاسِيًا مَعَ الطُّيورِ والحَيَواناتِ. اِعْتادَ أَنْ يَرْمِيَها بِحِجارَةٍ، ويَضْحَكَ إذا أَصابَ أَحَدَها. لَقَدْ كانَ حقًّا وَلَدًا صَغيرًا مُؤْذِيًا مُرْعِبًا!

ذاتَ يَوْمٍ، مَرَّتْ بِالقَرْيَةِ امْرَأَةٌ عَجوزٌ في ثِيابٍ رَثَّةٍ بالِيَةٍ. وكانَتْ مُرْهَقَةً فَجَلَسَتْ تَحْتَ شَجَرَةٍ تَسْتَريحُ.

رَآها ابْنُ النُّجومِ فقالَ لِلأَوْلادِ: «تَعالوا نَطْرُدْها، فإنَّها قَبيحَةٌ وقَذِرَةٌ.» ثُمَّ راحَ يَرْميها بِالحِجارَةِ.

عِنْدَما رَأى الحَطّابُ ذلِكَ، صاحَ: «تَوَقَّفْ! ماذا فَعَلَتْ لَكَ حَتّى تَضْرِبَها؟»

فصَرخَ ابْنُ النُّجومِ: «لا تَرْفَعْ صَوْتَكَ في وَجْهي! لا تَسْتَطيعُ مَنْعي. أَنا أَفْعَلُ ما أشاءُ. أَنْتَ لَسْتَ أَبي.»

«لا، لَسْتُ أَباكَ لكِنْ عِنْدَما وَجَدْتُكَ في الغابَةِ حَمَلْتُكَ إلى البَيْتِ، وعامَلْناكَ أَنا وزَوْجَتي وكَأَنَّكَ واحِدٌ مِنْ أَوْلادِنا.»

عِنْدَما سَمِعَتِ المَرْأَةُ الفَقيرَةُ كَلِماتِ الحَطّابِ قَفَزَتْ واقِفَةً وقالَتْ بِلَهْفَةٍ: «صَحيحٌ وَجَدْتَهُ في الغابَةِ؟ مَتى كانَ ذلِكَ؟»





أَجابَ الحَطّابُ: «مُنْذُ عَشْرِ سَنَواتٍ يا سَيِّدَتي.»

«أَكانَ مَلْفوفًا بِرِداءٍ أَبْيَض ذي نُجومٍ، وحَوْلَ عُنُقِهِ سِلْسِلَةٌ ذَهَبِيَّةٌ؟»

«نَعَمْ، لَقَدْ وَضَعْناهُما في صُنْدوقٍ، وحافَظْنا عَلَيْهِما. تَعالَي انْظُري.»

بَكَتِ المَرْأَةُ تَأَثُّرًا عِنْدَما رَأَتْ ما في الصُّندوقِ، وقالَتْ: «هذا هُوَ ابْني! سَرَقَهُ مِنّي بَعْضُ الأَشْرارِ مُنْذُ عَشْرِ سَنَواتٍ. وأَنا أُفَتِّشُ عَنْهُ مُنْذُ ذلِكَ الحينِ. أَخيرًا وَجَدْتُهُ!»

نادى الحَطّابُ ابْنَ النُّجومِ، وقالَ: «تَعالَ حالًا! أُمُّكَ هُنا!»

رَكَضَ الوَلَدُ فَرِحًا، لَكِنْ عِنْدَما رَأى المَرْأَةَ العَجوزَ في ثِيابِها الرَّثَّةِ البالِيَةِ صاحَ بِوَقاحَةٍ: «هذِهِ لَيْسَتْ أُمّي! هذِهِ مُتَسَوِّلَةٌ قَبيحَةٌ أُطْرُدْها!»

مَدَّتِ المَرْأَةُ المِسْكينَةُ ذِراعَيْها، وقالَتْ باكِيَةً: «أَنْتَ ابْني الَّذي فَقَدْتُهُ مُنْذُ زَمَنٍ طَويلٍ. تَعالَ أُقَبِّلْكَ.»

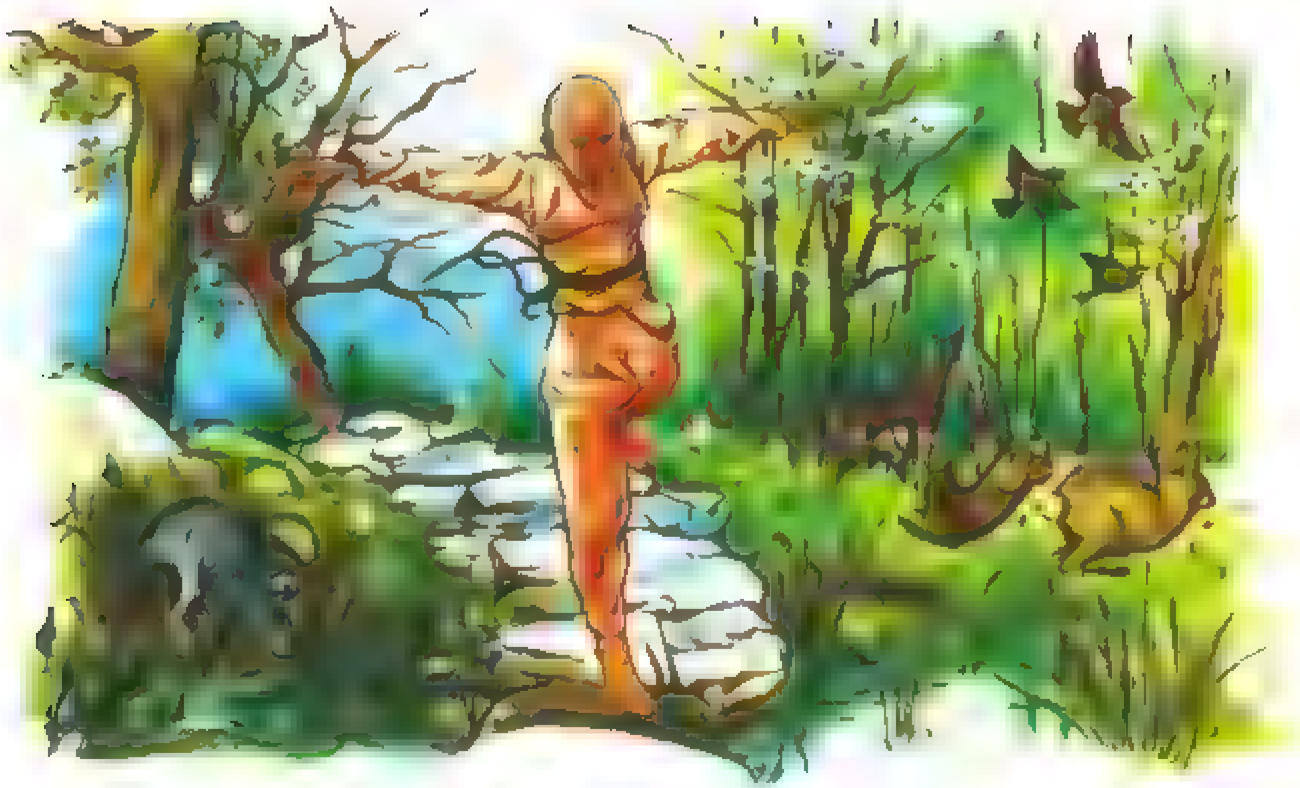
صاحَ الوَلَدُ: خَيْرٌ لي أَنْ أُقَبِّلَ أَفْعى! اِبْتَعِدي عَنّي! ثُمَّ دَفَعَها بِيَدَيْهِ دَفْعَةً قَوِيَّةً.



عادَتِ المَرأَةُ إلى الغابَةِ حَزينَةً. وخَرَجَ ابْنُ النُّجومِ لِيَلْعَبَ مَعَ رِفاقِهِ. لَكِنَّ الأَوْلادَ ابْتَعَدوا عَنْهُ مَذْعورينَ، وهُمْ يَصيحونَ: «مَنْ أَنْتَ؟ نَحْنُ لا نَعْرِفُكَ! ما أَبْشَعَكَ! اِبْتَعِدْ عَنّا!»

عَجِبَ ابْنُ النُّجومِ مِنْ كَلامِ رِفاقِهِ، وقالَ في نَفْسِهِ: «أَنا أَعْرِفُ أَنّي بَهِيُّ الطَّلْعَةِ.» ثم تَوَجَّهَ إلى البِئْرِ لِيَرى صورَتَهُ في مائِها. وكانَ ما رَآهُ مَشْهَدًا مُرْعِبًا! فقَدْ تَحَوَّلَ وَجْهُهُ البَهِيُّ إلى ما يُشْبِهُ صورَةَ الضُّفْدَعِ، وتَحَوَّلَتْ بَشَرَتُهُ النّاعِمَةُ إلى ما يُشْبِهُ حَراشِفَ الأَسْماكِ.





صاحَ بِفَزَعٍ: «مَنْ فَعَلَ ذلِكَ بي؟» ثُمَّ أَطْرَقَ لَحْظَةً نادِمًا، وقالَ: «لا بُدَّ أَنَّ ما جَرى لي كانَ بِسَبَبِ تَصَرُّفي الشِّرّيرِ مَعَ المَرْأَةِ الَّتي قالَتْ إِنَّها أُمّي. عَلَيَّ أَنْ أَلْحَقَ بِها وأَعْتَذِرَ لَها.»

جَرى نَحْوَ الغابَةِ يُناديها، قائِلًا: «أُمّي! أُمّي!» سَأَلَ الطُّيورَ أَنْ تُساعِدَهُ في العُثورِ عَلَيْها، لَكِنَّ الطُّيورَ ابْتَعَدَتْ عَنْهُ قائِلَةً: «كُنْتَ تَرْمينا بِالحِجارَةِ. نَحْنُ لا نُحِبُّكَ!» فتابَعَ بَحْثَهُ في الغابَةِ إلى أَنْ حَلَّ الظَّلامُ. فافْتَرَشَ بَعْضَ أَوْراقِ الشَّجَرِ ونامَ.

تابَعَ في اليَوْمِ التّالي بَحْثَهُ، وراحَ يَسْأَلُ الحَيَواناتِ عَنْ أُمِّهِ. قالَ لَهُ الخُلْدُ: «كَيْفَ أُساعِدُكَ وقَدْ كَسَرْتَ لي ساقي؟»

وقال السِّنْجابُ: «قَتَلْتَ أُمّي، فَكَيْفَ تُريدُني أَنْ أُساعِدَكَ عَلى إيجادِ أُمِّكَ؟»

قَطَعَ الفَتى الغابَةَ كُلَّها ووَجَدَ نَفْسَهُ في قَرْيَةٍ. فتَحلَّقَ حَوْلَهُ الأَوْلادُ يَسْخَرونَ مِنْهُ لِقُبْحِهِ، ويَرْمونَهُ بِالحِجارَةِ. تابَعَ الفَتى انْتِقالَهُ مِنْ مَكانٍ إلى آخَرَ يَسْأَلُ عَنْ أُمِّهِ أَيْنَما حَلَّ. لَكِنْ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ جَوابًا شافِيًا. ومَرَّتْ عَلَيْهِ، وَهوَ عَلى هَذِهِ الحالِ، ثَلاثُ سَنَواتٍ.

وَصَلَ ذاتَ لَيْلَةٍ إلى مَدينَةٍ كَبيرَةٍ مُحاطَةٍ بِأَسْوارٍ عالِيَةٍ. أَوْقَفَهُ الجُنودُ عِنْدَ بَوّابَةِ المَدينَةِ وسَأَلوهُ عَمّا يُريدُ.

قالَ الفَتى: «أَبْحَثُ عَنْ أُمّي.»

ضَحِكَ الجُنودُ، وقالَ أَحَدُهُمْ: «أَحْسَبُ أَنَّها كانَتْ سَعيدَةً بالتَّخَلُّصِ مِنْكَ، فَأَنْتَ قَبيحٌ جِدًّا. اُغْرُبْ عَنْ وَجْهِنا، فلا يُريدُكَ أَحَدٌ في هذِهِ المَدينَةِ!»





أَطْرَقَ رَأْسَهُ حُزْنًا واسْتَدارَ لِيَرْحَلَ. لَكِنَّ رَجُلًا عَجوزًا اقْتَرَبَ مِنَ الجُنودِ وأَعْطاهُمْ قِطْعَةَ نَقْدٍ، قائِلًا إِنَّهُ سَيَتَّخِذُ مِنَ الفَتى عامِلًا. فوافَقَ الجُنودُ، وسَمَحوا لِلفَتى بِعُبورِ البَوّابَةِ.

كانَ العَجوزُ في حَقيقَتِهِ ساحِرًا. وقَدْ قادَ الفَتى في أَزِقَّةٍ ضَيِّقَةٍ، إِلى أَنْ وَصَلا إِلى مَكانٍ مَهْجورٍ. فَتَحَ العَجوزُ بابًا ضَيِّقًا وأَنْزَلَ الفَتى إِلى قَبْوٍ (سِرْدابٍ) رَطْبٍ مُعْتِمٍ، وَتَرَكَ لَهُ كِسْرَةً مِنَ الخُبْزِ وشَيْئًا مِنَ الماءِ. ثُمَّ أَقْفَلَ البابَ ومَضى تارِكًا الفَتى وَحيدًا.

في الصَّباحِ أَتى السّاحِرُ إلى الفَتى وقالَ: «في الغابَةِ القَريبَةِ مِنَ المَدينَةِ خُبِّئَتْ ثَلاثُ قِطَعٍ ذَهَبِيَّةٍ. إحْدى القِطَعِ مِنَ الذَّهَبِ الأَبْيَضِ، والثّانِيَةُ مِنَ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ، والثّالِثَةُ مِنَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ. عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَني بِقِطْعَةِ الذَّهَبِ الأَبْيَضِ. إذا لَمْ تَفْعَلْ فَسَأَضْرِبُكَ بِهذِهِ العَصا مِائَةَ ضَرْبَةٍ.»

ثُمَّ فَتَحَ لَهُ البابَ وقالَ مُهَدِّدًا: «وعَلَيْكَ أَنْ تَعودَ إلَيَّ قَبْلَ غِيابِ الشَّمْسِ.»

لَمْ يَجِدِ الفَتى صُعوبَةً في الوُصولِ إلى الغابَةِ، وبَدَأَ مِنْ فَوْرِهِ يُفَتِّشُ عَنْ قِطْعَةِ الذَّهَبِ الأَبْيَضِ. فَتَّشَ في كُلِّ مَكانٍ لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْها. تَوالَتِ السّاعاتُ، ورَأى أَخيرًا أَنَّ الشَّمْسَ بَدَأَتْ تَميلُ إلى المَغيبِ. وكانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعودَ إلى السّاحِرِ دونَ ذَهَبٍ ويَتَلَقّى العِقابَ.

وبَيْنَما كانَ يَهُمُّ بِالعَوْدَةِ، سَمِعَ صَرْخَةَ أَلَمٍ. اِلْتَفَتَ باحِثًا عَنْ مَصْدَرِ الصَّرْخَةِ عَلَّهُ يَتَمَكَّنُ مِنْ مَدِّ يَدِ العَوْنِ، مَعَ أَنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أَنَّ تَأَخُّرَهُ سَيَزيدُ مِنْ غَضَبِ السّاحِرِ. وَجَدَ أَرْنَبًا عالِقًا في فَخٍّ، فَأَسْرَعَ يَفْتَحُ بابَ الفَخِّ قائِلًا: «أَيُّها الأَرْنَبُ المِسْكينُ، اخْرُجْ فَأَنْتَ حُرٌّ!»

شَكَرَ الأَرْنَبُ الفَتى عَلى إنْقاذِهِ إيّاهُ، وقالَ لَهُ: «هَلْ أَسْتَطيعُ أَنْ أَخْدِمَكَ بِشَيْءٍ؟»



أَجابَ الفَتى: «أَبْحَثُ عَنْ قِطْعَةِ ذَهَبٍ أَبْيَضَ. وإذا لَمْ أَجِدْها فَسَيَضْرِبُني سَيِّدي بِالعَصا.»

قالَ الأَرْنَبُ: «تَعالَ مَعي، فَأَنا أَعْرِفُ مَكانَها.» ثُمَّ أَخَذَ الفَتى إلى شَجَرَةٍ كانَتْ قِطْعَةُ الذَّهَبِ مُخَبَّأَةً في جِذْعِها. شَكَرَ الفَتى الأَرْنَبَ ورَكَضَ ناحِيَةَ المَدينَةِ. واعْتَرَضَهُ عِنْدَ البَوّابَةِ فَقيرٌ، قالَ لَهُ: «أَرْجوكَ أَعْطِني شَيْئًا مِنَ المالِ أَشْتَري بِهِ خُبْزًا، وإلّا مُتُّ جوعًا.»

قالَ الفَتى: «لَيْسَ مَعي مالٌ. لَيْسَ مَعي إلّا قِطْعَةُ ذَهَبٍ واحِدَةٌ عَلَيَّ أَنْ آخُذَها إلى سَيِّدي.»

تَوَسَّلَ الفَقيرُ قائِلًا: «أَرْجوكَ! فإنّي لَمْ أَذُقِ الطَّعامَ مُنْذُ أَيّامٍ.»

فأَعْطاهُ الفَتى قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَبْيَضِ، وعادَ إلى سَيِّدِهِ صِفْرَ اليَدَيْنِ. غَضِبَ السّاحِرُ غَضَبًا شَديدًا وجَرَّ الفَتى إلى القَبْوِ وضَرَبَهُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا. وظَلَّ الفَتى يَبْكي حَتّي غَلَبَهُ النَّوْمُ.

عادَ السّاحِرُ في الصَّباحِ التّالي وقالَ: «اليَوْمَ تَأْتيني بِقِطْعَةِ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ قَبْلَ غُروبِ الشَّمْسِ، وإلّا جَلَدْتُكَ ثَلاثَمِائَةِ جَلْدَةٍ.»

ظَلَّ الفَتى طَوالَ اليَوْمِ يَبْحَثُ في الغابَةِ بَحْثًا مُتَواصِلًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا. وعِنْدَما رَأى الشَّمْسَ تَميلُ إلى المَغيبِ جَلَسَ يَبْكي. فَقَدْ كانَ خائِفًا أَنْ يَعودَ صِفْرَ اليَدَيْنِ.

فَجْأَةً، سَمِعَ صَوْتًا يَقولُ لَهُ: «لِمَ تَبْكي؟» وكانَ ذَلِكَ الأَرْنَبَ الَّذي أَنْقَذَهُ في اليَوْمِ السّابِقِ مِنَ الفَخِّ.

«بَحَثْتُ طَوالَ اليَوْمِ عَنْ قِطْعَةِ ذَهَبٍ أَصْفَرَ، فلَمْ أَجِدْها. وسيَجْلِدُني سَيِّدي.»

قالَ الأَرْنَبُ: «اِتْبَعْني.» ثُمَّ أَخَذَ الفَتى إلى بِرْكَةٍ. وهُناكَ، في قاعِ البِرْكَةِ، كانَتْ قِطْعَةُ الذَّهَبِ تُشِعُّ. شَكَرَ الفَتى الأَرْنَبَ

وَرَكَضَ ناحِيَةَ المَدينَةِ. لَكِنَّهُ قابَلَ في الطَّريقِ الرَّجُلَ الفَقيرَ يَتَّجِهُ نَحْوَهُ عَلى عُكّازِهِ.

ناداهُ الفَقيرُ قائِلًا: «ساعِدْني! أَرْجوكَ ساعِدْني! أَرْجوكَ ساعِدْني! فَقَدْ طُرِدْتُ مِنَ المَدينَةِ، ولا مَكانَ لي أَلْجَأُ إِلَيْهِ. سأَموتُ بَرْدًا هذِهِ اللَّيْلَةَ. أَرْجوكَ أَعْطِني شَيْئًا مِنَ المالِ لِئَلّا أَنامَ في العَراءِ.»

قالَ الفَتى: «لَيْسَ مَعي إلّا قِطْعَةُ ذَهَبٍ واحِدَةٌ. عَلَيَّ أَنْ آخُذَها إِلى سَيِّدي، وإلّا جَلَدَني.»

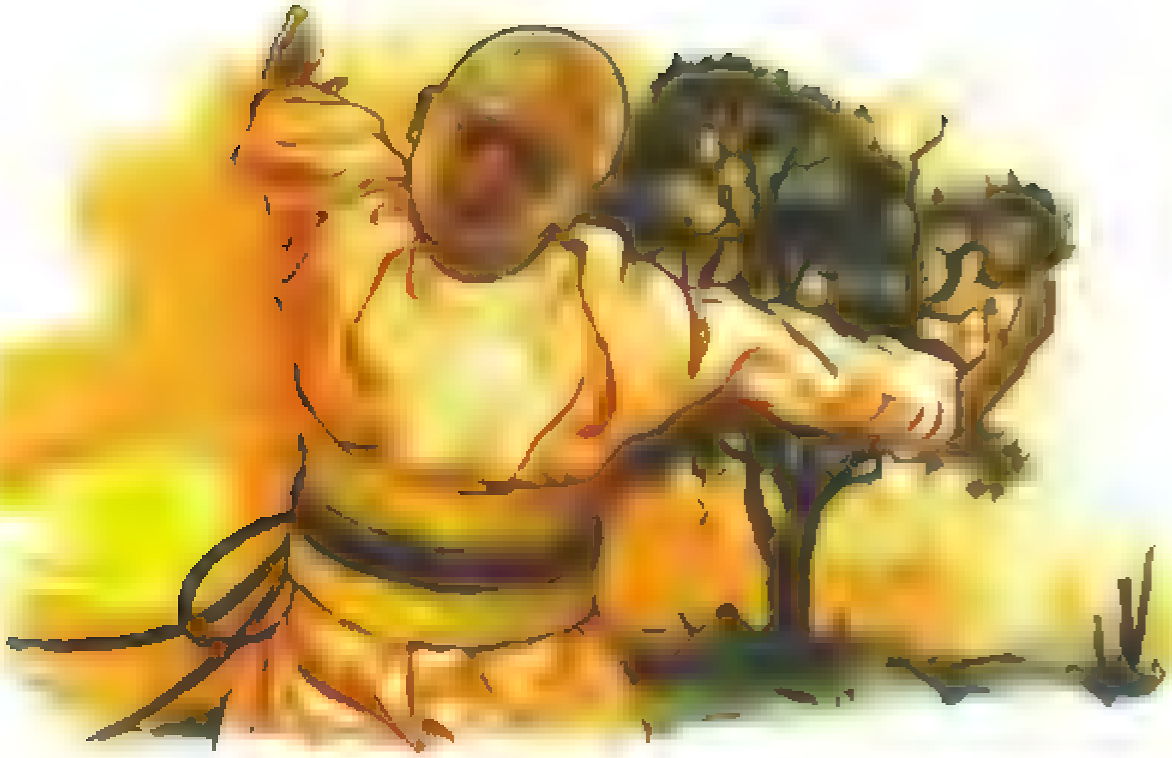
لَكِنَّ الفَقيرَ أَلَحَّ في تَوَسُّلاتِهِ. أَخيرًا أَعْطاهُ الفَتى قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَصْفَرِ. وعِنْدَما وَجَدَ السّاحِرُ أَنَّهُ لَمْ يَحْصُلْ على شَيْءٍ، غَضِبَ غَضَبًا شَديدًا وجَلَدَ الفَتى بِقَسْوَةٍ شَديدَةٍ، وتَرَكَهُ يَنامُ دونَ طَعامٍ.



في صَباحِ اليَوْمِ الثّالِثِ قالَ السّاحِرُ لِلفَتى: «عَلَيْكَ اليَوْمَ أَنْ تأْتِيني بِقِطْعَةِ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ، وإلّا فسأَقْتُلُكَ هذِهِ المَرَّةَ.»

ظَلَّ الفَتى طَوالَ ذَلِكَ اليَوْمِ أَيْضًا يَبْحَثُ في الغابَةِ بَحثًا مُتَواصِلًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا. وعِنْدَما رَأى الشَّمْسَ تَميلُ إلى المغيبِ جَلَسَ يَبْكي. وسُرْعانَ ما جاءَهُ الأَرْنَبُ ودَلَّهُ عَلى كَهْفٍ صَغيرٍ قَريبٍ لِيُفَتِّشَ فيهِ. ووَجَدَ الفَتى في زاوِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ الكَهْفِ القِطْعَةَ الَّتي يَبْحَثُ عَنْها، فأَسْرَعَ يَحْمِلُها إلى السّاحِرِ بِفَرَحٍ شَديدٍ. لَكِنْ، وقَبْلَ أَنْ يَقْطَعَ شَوْطًا بَعيدًا، عادَ فالْتَقى بالفَقيرِ مَرَّةً أُخْرى. وبَدا لَهُ الفَقيرُ عَليلًا يائِسًا فأَشْفَقَ عَلَيْهِ إشْفاقًا شَديدًا وأَعْطاهُ قِطْعَةَ الذَّهَبِ الأَحْمَرِ.





قالَ في نَفْسِهِ: «اِقْتَرَبَتْ نِهايَتي.» ثُمَّ أَطْرَقَ رَأْسَهُ ومَشى نَحْوَ المَدينَةِ بِبُطْءٍ. وحينَ وَصَلَ إلى بَوّابَةِ المَدينَةِ رَأى الجُنودَ يَقْتَرِبونَ مِنْهُ ويَنْحَنونَ إجْلالًا، قائلينَ: «مَوْلايَ!»

ظَنَّ الفَتى أَنَّهُمْ يَسْخَرونَ مِنْهُ، لَكِنَّهُ لاحَظَ، مَعَ مُتابَعَتِهِ السَّيْرَ في الطُّرُقاتِ، أَنَّ الكَثيرينَ يَتَحَلَّقونَ حَوْلَهُ قائِلينَ: «ما أَبْهى طَلْعَتَهُ!»

لَمْ يَتْرُكْهُ النّاسُ، بَلْ أَخَذَ جُمْهورُهُمْ يَزْدادُ حَوْلَهُ عَدَدًا، حَتّى إِنَّه لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنَ العُثورِ عَلى بَيْتِ السّاحِرِ. بَلْ إِنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ، بَدَلًا عَنْ ذَلِكَ، أَمامَ بَوّابَةِ قَصْرٍ عَظيمٍ. وخَرَجَ رِجالٌ مِنَ القَصْرِ مُرَحِّبينَ بِالفَتى قائِلينَ: «اِنْتَظَرْناكَ طَويلًا، أَيُّها الأَميرُ الوَسيمُ.»

أَسْرَعَ الفَتى يَقولُ: «أَنا ابْنُ امْرَأَةٍ فَقيرَةٍ، وأَنا أَعْرِفُ أَنّي قَبيحٌ. فلِمَ تُنادونَني بِالأَميرِ الوَسيمِ؟»

رَفَعَ أَحَدُ الرِّجالِ دِرْعَهُ البَرّاقَةَ أَمامَ الفَتى وقالَ لَهُ: «أُنْظُرْ!»



نَظَرَ الفَتى في الدِّرْعِ فرَأى وَجْهَهُ وقَدْ عادَ إِلَيْهِ جَمالُهُ السّابِقُ. وسَمِعَ الجُمْهورَ يُرَدِّدُ:

«أَنْتَ مَليكُنا المُنْتَظَرُ. لَقَدْ أَنْبَأَنا الحُكَماءُ أَنَّكَ آتٍ اليَوْمَ.»

قالَ الفَتى: «أَرْجوكُم اتْرُكوني. إِنّي أَبْحَثُ عَنْ أُمّي. وهيَ لَيْسَتْ مَلِكَةً بَلِ امْرَأَةٌ فَقيرَةٌ» ثُمَّ اسْتَدارَ لِيَتَّجِهَ إِلى بَوّابَةِ المَدينَةِ.

في هَذِهِ اللَّحْظَةِ، رَأى امْرَأَةً ورَجُلًا يُقْبِلانِ نَحْوَهُ، فإِذا هُما المَرْأَةُ الفَقيرَةُ الَّتي قالَتْ إِنَّها أُمُّهُ، والرَّجُلُ الفَقيرُ الَّذي تَخَلّى لَهُ الفَتى عَنْ قِطَعِهِ الذَّهَبِيَّةِ الثَّلاثِ. أَطْلَقَ الفَتى صَيْحَةَ فَرَحٍ ورَكَضَ نَحْوَهُما، وارْتَمى أَمامَ المَرْأَةِ راكِعًا وقالَ: «أُمّي، سامِحيني يا أُمّي!»

وَضَعَ الفَقيرُ والفَقيرَةُ يَدَهُما عَلى الفَتى الراكِعِ أَمامَهُما وقالا: «اِنْهَضْ يا بُنَيَّ!»

نَهَضَ الفَتى ورَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَيْهِما، فلَمْ يَرَ رَجُلًا فَقيرًا ولا امْرَأَةً فَقيرَةً، بَلْ رَأى مَلِكًا ومَلِكَةً.

قالَ المَلِكُ: «هذِهِ هِيَ أُمُّكَ.»

وقالَتِ المَلِكَةُ: «وهذا هُوَ أَبوكَ.»

اِحْتَضَنَهُ المَلِكُ والمَلِكَةُ وقَبَّلاهُ بِحَنانٍ، ثُمَّ أَخَذاهُ إِلى القَصْرِ، وقَدَّما لَهُ ثِيابًا فاخِرَةً، وأَخْبَراهُ أَنَّهُ سيكونُ مَلِكَ المُسْتَقْبَلِ.

في اليَوْمِ التّالي، أَرْسَلَ الفَتى إِلى الحَطّابِ وأُسْرَتِهِ هَدايا ثَمينَةً، واسْتَدْعاهُمْ لِيَعيشوا قَريبًا مِنْهُ. أَمّا السّاحِرُ الشِّرّيرُ فقَدْ نَفاهُ مِنَ المَدينَةِ، فلَمْ يَسْمَعْ بِهِ بَعْدَ ذلِكَ أَحَدٌ. وظَلَّ النّاسُ طَوالَ حَياةِ الأَميرِ الَّذي صارَ فيما بَعْدُ مَلِكًا يَعيشونَ عيشَةً هانِئَةً، ولَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ فَقيرٌ أَوْ مُحْتاجٌ.





المَلِكُ الشابُّ

كانَ المَلِكُ العَجوزُ عَلى فِراشِ المَوْتِ، فأَرْسَلَ يَطْلُبُ حَفيدَهُ الفَتى الَّذي سيَكونُ مَلِكًا بَعْدَهُ. ولَمْ يَكُنِ الفَتى قَدْ رَأى جَدَّهُ مِنْ قَبْلُ. فقَدْ كانَ المَلِكُ غَضِبَ عَلى ابْنَتِهِ وطَرَدَها مِنْ قَصْرِهِ. ثُمَّ تَزَوَّجَتِ ابْنَةُ المَلِكِ بَعْدَ ذَلِكَ وأَنْجَبَتْ صَبِيًّا. ولَكِنَّ مَرَضًا أَهْلَكَ الأَبَوَيْنِ، فعاشَ الصَّبِيُّ في كَنَفِ أُسْرَةٍ فَقيرَةٍ اعْتَنَتْ بِهِ ورَبَّتْهُ كَما تُرَبّي أَوْلادَها.

وحينَ أَحَسَّ المَلِكُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ أَرْسَلَ يَبْحَثُ عَنِ ابْنَتِهِ فاكْتَشَفَ أَنَّها ماتَتْ، لَكِنَّها تَرَكَتْ صَبِيًّا كانَ قَدْ أَصْبَحَ آنَذاكَ شابًّا وَسيمًا.

وَصَلَ الفَتى إلى القَصْرِ يَلْبَسُ ثِيابَ راعٍ فَقيرٍ ويَحْمِلُ في يَدِهِ عَصا الرُّعاةِ. وقَدْ بَهَرَهُ مَنْظَرُ الثِّيابِ الفاخِرَةِ الَّتي كانَ رِجالُ القَصْرِ ونِساؤُهُ يَلْبَسونَها. وكانَ ما حَوْلَهُ يُوْحي بِالعَظَمَةِ والأُبَّهَةِ. راحَ يَتَأَمَّلُ السَّجّادَ الفاخِرَ والسَّتائِرَ الحَريرِيَّةَ المُطَرَّزَةَ والشَّمْعَداناتِ الذَّهَبِيَّةَ وآنِيَةَ الزَّهْرِ الفَضِّيَّةَ والنَّمانِمَ والمُطَرَّزاتِ.

ولَشَدَّ ما سَرَّهُ أَنَّهُمْ أَخَذوا ثِيابَ الرّاعي وعَصاهُ وأَعْطَوْهُ ثِيابًا فاخِرَةً يَلْبَسُها.

قالَ سُكّانُ القَصْرِ: «أَنْتَ الآنَ أَميرٌ!» وكانَ حَقًّا كَذَلِكَ!

وحينَ قيلَ لَهُ إِنَّهُ سيُتَوَّجُ مَلِكًا، لَمْ يَكُنْ لِيَسْتَطيعَ التَّفْكيرَ إلا بِالهَيْئَةِ الَّتي سيَخْرُجُ بِها عَلى النّاسِ يَوْمَ التَّتْويجِ. فقَد أَرادَ ثَوْبًا مَلَكِيًّا مَنْسوجًا مِنْ خُيوطِ الذَّهَبِ، وتاجًا مُرَصَّعًا بِالياقوتِ، وصَوْلَجانًا مُزَيَّنًا بِاللَّآلِئِ. وطَغَتْ عَلَيْهِ هذِهِ الأَفْكارُ في اللَّيْلَةِ السّابِقَةِ لِيَوْمِ التَّتْويجِ فلَمْ يَعْرِفْ مَعَها النَّوْمَ إلا بَعْدَ قَلَقٍ طَويلٍ. وما إِنْ غَرِقَ في النَّوْمِ حَتّى عاجَلَتْهُ الأَحْلامُ.

رَأى في نَوْمِهِ أَنَّهُ في قاعَةٍ واسِعَةٍ جِدًّا يَعْمَلُ فيها الكَثيرُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والأَوْلادِ. وبَدا أَنَّ تِلْكَ القاعَةَ مَصْنَعٌ لِلنَّسيجِ، يَعْمَلُ فيهِ النّاسُ عَلى أَنْوالِهِمْ. وكانَ العُمّالُ كُلُّهُمْ فُقَراءَ يَلْبَسونَ الثِّيابَ الرَّثَّةَ البالِيَةَ. أَمّا الأَطْفالُ مِنْهُمْ فمَكانُهُمْ تَحْتَ الأَنْوالِ حَيْثُ يَرْبِطونَ بِأَنامِلِهِم الرَّقيقَةِ الخيطانَ الَّتي تَنْقَطِعُ. وكانَتْ وُجوهُ العُمّالِ شاحِبَةً وأَجْسامُهُمْ ناحِلَةً وكَأَنَّهُمْ لَمْ يَنالوا كِفايَتَهُمْ مِنَ الغِذاءِ. ووَسَطَ ضَجيجِ الأَنْوالِ وحَرَكَةِ العَمَلِ لَمْ يَبْدُ عَلى وُجوهِ العُمّالِ رَغْبَةٌ في الكَلامِ أَوْ حَتّى في الابْتِسامِ. ووَقَفَ المَلِكُ الشّابُّ قُرْبَ أَحَدِ العُمّالِ وسَأَلَهُ عَمّا يَفْعَلُ. فأَجابَ العامِلُ:



«لِمَ تُراقِبُني؟ هَلْ أَرْسَلَكَ السَّيِّدُ لِتَتَجَسَّس عَلَيْنا؟»

سَأَلَ المَلِكُ الشّابُّ: «ومَنْ هُوَ سَيِّدُكَ؟»

أَجابَ العامِلُ: «إِنَّهُ رَجُلٌ مِثْلي، لَكِنَّهُ يَمْلِكُ ثِيابًا فاخِرَةً، أَمّا أَنا فأَلْبَس ثِيابًا رَثَّةً بالِيَةً. وهوَ عِنْدَهُ مِنَ الطَّعامِ ما يَفيضُ عَنْ حاجَتِهِ، أَمّا أَنا فأَطْفالي مِنَ جائِعونَ.»

سَأَلَ المَلِكُ الشّابُّ: «لِمَ تَعْمَلُ عِنْدَهُ إِذًا؟ أَنْتَ لَسْتَ عَبْدًا.»

أَجابَ الرَّجُلُ: «أَنْتَ تَحْسَبُني حُرًّا. لَكِنّي كَالعَبْدِ لِأَنّي مُحْتاجٌ إِلى هَذا العَمَلِ، ومِنْ غَيْرِهِ أَجوعُ.»

لَمْ يَتَوَقَّفِ الرَّجُلُ، في أَثْناءِ حَديثِهِ، عَنِ العَمَلِ. وكانَ المَكّوكُ (بَكَرَةُ النَّوْلِ) يَطيرُ مِنْ جانِبٍ إِلى جانِبٍ، فلاحَظَ المَلِكَ الشّابُّ أَنَّ الخُيوطَ مِنَ الذَّهَبِ. فسَأَلَ قائِلًا: «لِمَنْ هذا الثَّوْبُ؟»

أَجابَ الرَّجُلُ: «إِنَّهُ لِلمَلِكِ الشّابِّ الَّذي سيُتَوَّجُ غدًا. عَلَيْنا أَنْ نَعْمَلَ بِجِدٍّ لِنُنْجِزَ الثَّوْبَ قَبْلَ طُلوعِ الفَجْرِ.»

سَمِعَ المَلِكُ هذا القَوْلَ فصاحَ بِالرَّجُلِ طالِبًا مِنْهُ أَنْ يُوقِفَ العَمَلَ، فأَيْقَظَهُ الصَّوْتُ مِنْ نَوْمِهِ. التَفَتَ المَلِكُ حَوْلَهُ فرأى ضَوْءَ القَمَرِ يَمْلَأُ غُرْفَةَ نَوْمِهِ فعَرَفَ أَنَّ اللَّيْلَ لَمْ يَنْتَهِ بَعْدُ، فرَمى نَفْسَهُ عَلى السَّريرِ وعادَ إِلى النَّوْمِ. وسُرْعانَ ما عاجَلَتْهُ الأَحْلامُ مَرَّةً ثانِيَةً.



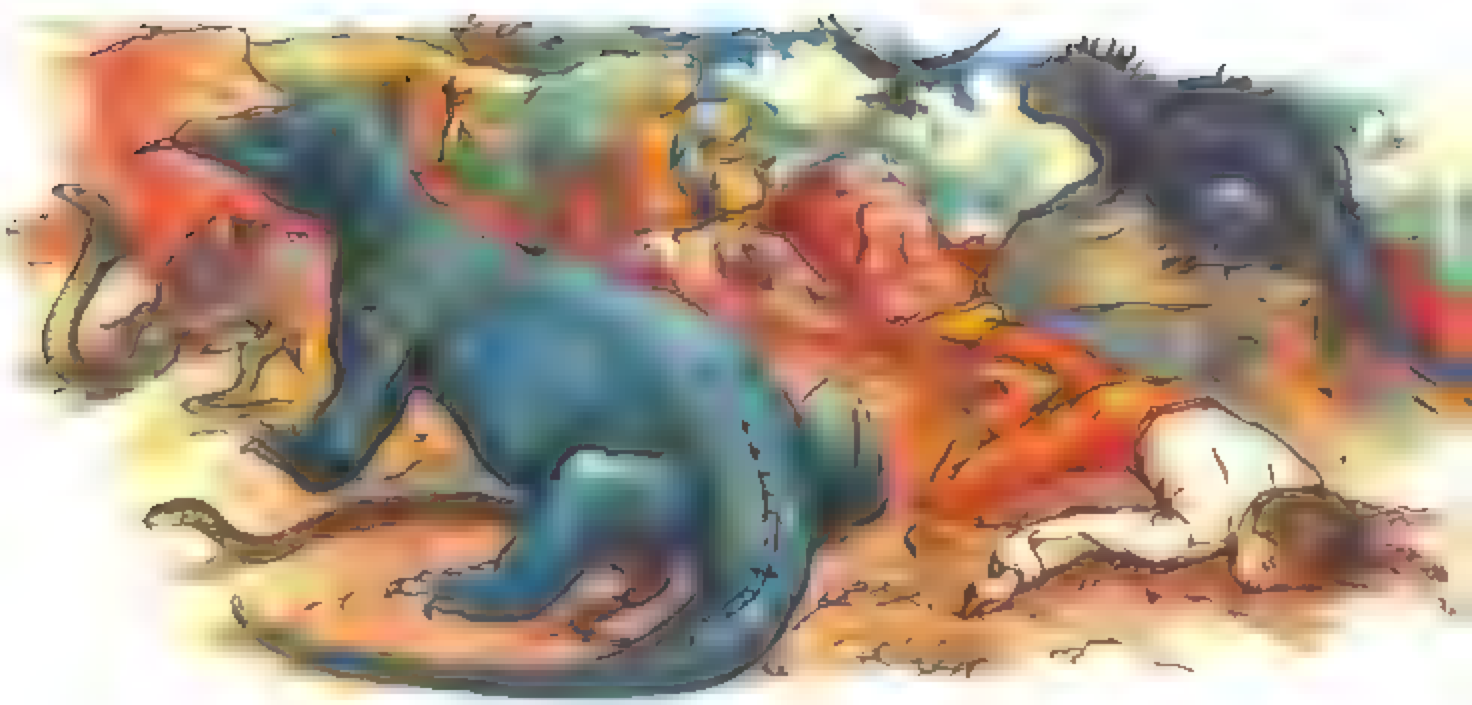
رَأى نَفْسَهُ هذِهِ المَرَّةَ عَلى مَتْنِ مَرْكَبٍ، يَسيرُ بِدَفْعِ المَجاديفِ، ويَقومُ بِالتَّجْديفِ مِائَةُ عَبْدٍ تُكَبِّلُ أَقْدامَهُمُ الأَغْلالُ. ورَأى في وَسَطِ المَرْكَبِ رَجُلًا يَحْمِلُ سَوْطًا، فإذا تَوَقَّفَ أَحَدٌ مِنَ العَبيدِ عَنِ التَّجْديفِ، ولَوْ لِلَحْظَةٍ واحِدَةٍ، ضَرَبَ الرَّجُلُ ظَهْرَهُ العارِيَ بِالسَّوْطِ. وسُرْعانَ ما وَصَلَ المَرْكَبُ إلى خَليجٍ صَغيرٍ، فأُلْقِيَتِ المِرْساةُ وأُنْزِلَتِ الأَشْرِعَةُ.

أَمَرَ قُبْطانُ المَرْكَبِ عَبْدًا أَنْ يَغوصَ في البَحْرِ. غاصَ العَبْدُ وعادَ يَحْمِلُ في يَدِهِ لُؤْلُؤَةً أَعْطاها لِلقُبْطانِ. ثُمَّ هَزَّ القُبْطانُ سَوْطَهُ فغاصَ العَبْدُ ثانِيَةً وعادَ يَحْمِلُ لُؤْلُؤَةً أُخْرى أَعْطاها أَيْضًا لِلقُبْطانِ. تابَعَ العَبْدُ الغَوْصَ مِرارًا وتَكْرارًا، وكانَ في كُلِّ مَرَّةٍ يَزْدادُ إرْهاقًا

فَيَحْتاجُ في غَوْصِهِ إلى وَقْتٍ أَطْوَلَ. وكانَتِ اللُّؤْلُؤَةُ الأَخيرَةُ الَّتي اصْطادَها أَكْبَرَ اللَّآلِئِ وأَجْمَلَها، فقالَ القُبْطانُ: «هذِهِ ستَكونُ واسِطَةَ اللَّآلِئِ في صَوْلَجانِ المَلِكِ.» ثُمَّ أَمَرَ عَبيدَهُ أَنْ يَرْفَعوا المِرْساةَ ويُجَدِّفوا بِأَقْصى قُوَّتِهِمْ. أَمّا الغَوّاصُ فقَدْ تَرَكوهُ وَراءَهُمْ، لِأَنَّهُ كانَ قَدْ ماتَ إعْياءً.

صاحَ المَلِكُ الشّابُّ في نَوْمِهِ صَيْحَةَ ذُعْرٍ أَيْقَظَتْهُ. لَكِنَّهُ رَأى النُّجومَ عَبْرَ نافِذَةِ غُرْفَتِهِ، فعادَ إلى النَّوْمِ. وسُرْعانَ ما عاجَلَتْهُ الأَحْلامُ مَرَّةً أُخْرى.





رَأى نَفْسَهُ في الحُلُمِ وَحيدًا يَمْشي في غابَةٍ، ويَصِلُ بَعْدَ ذَلِكَ إلى نَهْرٍ عَظيمٍ جَفَّ ماؤُهُ. ورَأى مِئاتِ الرِّجالِ يَنْبُشونَ في رِمالِ قاعِ النَّهْرِ الجافِّ نَبْشًا مُتَواصِلًا. وكانَتِ الشَّمْسُ تُحْرِقُ رُؤوسَ الرِّجالِ المُتعَبينَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَوَقَّفوا عَنِ العَمَلِ. لَمْ يَعْرِفِ المَلِكُ الشّابُّ عَمّا كانوا يَبْحَثونَ، لَكِنَّهُ كانَ، بَيْنَ الحينِ والحينِ، يَرى الواحِدَ مِنْهُمْ يَقَعُ ولا يَقومُ أَبَدًا. وأَقْبَلَتِ النُّسورُ السَّوداءُ تُحَلِّقُ فَوْقَ الرُّؤوسِ، وخَرَجَتِ الأَفاعي المُرْعِبَةُ مِنْ بَيْنِ أَكْوامِ الطّينِ، وخَرَجَ مَعَها الدَّيْناصوراتُ المُخيفَةُ والتَّنانينُ. فخافَ المَلِكُ، وصاحَ:

«مَنْ هُمْ هَؤلاءِ الرِّجالُ، وعَمَّ يَبْحَثونَ؟»

أَجابَهُ صَوْتٌ مِنْ خَلْفِهِ: «إِنَّهُمْ يَسْعَوْنَ لِلعُثورِ عَلى حِجارَةِ ياقوتٍ يُرَصَّعُ بِها تاجُ المَلِكِ.»

اِلتَفَتَ المَلِكُ وَراءَهُ فرَأى رَجُلًا يَحمِلُ في يَدِهِ مِرْآةً، فَسَأَلَهُ: «أَيُّ مَلِكٍ؟»

رَفَعَ الرَّجُلُ المِرْآةَ في وَجْهِ المَلِكِ وقالَ لَهُ: «اُنْظُرْ تَرَهُ.» عِنْدَما رَأى المَلِكُ الشّابُّ وَجْهَهُ في المِرْآةِ، أَطْلَقَ صَيْحَةً عالِيَةً واسْتَيْقَظَ مَرَّةً أُخْرى. وكانَ الوَقْتُ آنَذاكَ صَباحًا.

دَخَلَ غُرْفَةَ المَلِكِ ضابِطانِ كَبيرانِ انْحَنَيا احْتِرامًا، ثُمَّ أَمَرا بَعْضَ المُساعِدينَ فجاءَ مَنْ يَحْمِلُ الثَّوْبَ المَلَكِيَّ المَنْسوجَ بِخُيوطِ الذَّهَبِ، والتّاجَ المُرَصَّعَ بِالياقوتِ، والصَّوْلَجانَ المُزَيَّنَ بِاللَّآلِئِ. ورَأى المَلِكُ ذَلِكَ كُلَّهُ آيَةً في الجَمالِ، لَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَحْلامَهُ الثَّلاثَةَ، فقالَ: «أَبْعِدوا هذِهِ الأَشْياءَ عَنّي، فلَنْ أَلْبَسَ ثَوْبًا مَلَكِيًّا، ولَنْ أَتَقَلَّدَ تاجًا أو أَحْمِلَ صَوْلَجانًا.»



ظَنَّ الضّابِطانِ والمُساعِدونَ أَنَّ المَلِكَ يَمْزَحُ، فلَمْ يَسْتَجيبوا لِطَلَبِهِ. لَكِنَّهُ كَرَّرَ كَلامَهُ قائِلًا: «أَبْعِدوها عَنّي! فهذا الثَّوْبُ مَنْسوجٌ عَلى نَوْلِ الآلامِ، وفي قَلْبِ الياقوتِ دَمٌ، ومَوْتٌ في قَلْبِ اللَّآلِئِ.» ثُمَّ رَوى لَهُمْ ما رَأى في الحُلُمِ.

نَظَرَ كُلٌّ مِنَ الضّابِطَيْنِ في وَجْهِ الآخَرِ، وهَمَسَ أَحَدُهُما لِصاحِبِهِ: «لا شَكَّ أَنَّهُ مَجْنونٌ! وهَلْ يُغَيِّرُ حُلُمٌ تَقاليدَ المُلوكِ؟»

ثُمَّ قالَ ضابِطٌ لِلمَلِكِ: «يا مَوْلايَ. هذا الثَّوْبُ لا بَديلَ عَنْهُ، فكَيْفَ يَعْرِف الشَّعْبُ أَنَّكَ المَلِكُ إذا لَمْ تَظْهَرْ بِمَظْهَرِ المُلوكِ؟»

سَأَلَ المَلِكُ الشّابُّ قائِلًا: «أَلا يَكونُ المَلِكُ مَلِكًا إلا إذا تَقَلَّدَ تاجًا؟ المَلِكُ بأَعْمالِهِ لا بِما يَضَعُ فَوْقَ رَأْسِهِ. وحَتّى لَوْ كُنْتُمْ عَلى صَوابٍ فإِنّي لَنْ أَلْبَسَ هذا الثَّوْبَ ولَنْ أَتَقَلَّدَ هذا التّاجَ.» ثُمَّ طَلَبَ خُروجَهُمْ جَميعًا، بِاسْتِثْناءِ مُساعِدٍ فَتًى قالَ لَهُ:

«أَرْجوكَ اجْلِبْ لِيَ الثِّيابَ الَّتي كُنْتُ أَلْبَسُها أَوَّلَ قُدومي إلى هذا القَصْرِ.» ثُمَّ لَبِسَ تِلْكَ الثِّيابَ وحَمَلَ عَصا الرّاعي.

قالَ المُساعِدُ: «لَكِنْ، يا مَوْلايَ، لا أَرى تاجًا عَلى رَأْسِكَ.»

فقَطَفَ المَلِكُ بَعْضَ الوُرودِ الحَمْراءِ مِنْ خارِجِ شُبّاكِ غُرْفَتِهِ، وصَنَعَ مِنْها إِكْليلًا وَضَعَهُ عَلى رَأْسِهِ، وقالَ: «هذا هُوَ تاجي.»

ثُمَّ خَرَجَ إلى القاعَةِ الكُبْرى حَيْثُ كانَ نُبَلاء البِلادِ في انْتِظارِهِ. هَتَفَ النُّبلاءُ حينَ شاهَدوهُ هُتافَ دَهْشَةٍ واسْتِغْرابٍ: «يا مَوْلايَ! النّاسُ في انْتِظارِ مَلِكِهِمْ، أَمّا أَنْتَ فتَبْدو كَمُتَسَوِّلٍ. إنَّكَ تَجْلِبُ العارَ عَلَيْنا كُلِّنا.»

لَمْ يُعْطِهِمِ المَلِكُ الشّابُّ جَوابًا، بَلْ نَزَلَ الدَّرَجَ وتَوَجَّهَ خارِجَ بَوّابَةِ القَصْرِ. وهُناكَ امْتَطى ظَهْرَ جَوادِهِ وتَوَجَّهَ إلى قَصْرِ الشُّيوخِ حَيْثُ تَتِمُّ مَراسِمُ التَّتْويجِ، يَلْحَقُ بِهِ المُساعِدُ الفَتى.





ضَحِكَ كُلُّ مَنْ كانوا في الشّارِعِ وقالوا: «لا بُدَّ أَنَّهُ مُهَرِّجٌ.»

لَكِنَّ المَلِكَ الشّابَّ أَوْقَفَ حِصانَهُ وقالَ: «بَلْ أَنا المَلِكُ نَفْسُهُ» ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ عَنْ أَحْلامِهِ الثَّلاثَةِ. فلَمْ يَفْهَموا لِكَلامِهِ مَعْنًى. وقالَ أَحَدُهُمْ: «كَيْفَ يَكونُ في امْتِناعِكَ عَنِ ارْتِداءِ الثَّوْبِ المَلَكِيِّ المُذَهَّبِ مُساعَدَةٌ لَنا؟ الأَغْنِياءُ يُوَفِّرونَ لَنا، نَحْنُ الفُقَراءَ، العَمَلَ. وإذا لَمْ نَعْمَلْ جُعْنا!»

أَجابَ المَلِكُ الشّابُّ: عَلَيْنا أَنْ نَسْعى لإِيجادِ وَسيلَةٍ أَفْضَلَ، وسأَجِدُ تِلْكَ الوَسيلَةَ.» ثُمَّ تَرَكَهُمْ ومَضى.

عِنْدَما وَصَلَ إلى مَدْخَلِ قَصْرِ الشُّيوخِ أَوْقَفَهُ الحارِسانِ وقالا لَهُ: «الدُّخولُ مَمْنوعٌ. لا يَدْخُلُ أَحَدٌ مِنْ هذا البابِ إلا المَلِكُ الشّابُّ.»

أَجابَ المَلِكُ وهوَ يُبْعِدُ سَيْفَيْهِما: «أَنا هُوَ المَلِكُ!»

قالَ رَئيسُ مَجْلِسِ الشُّيوخِ الَّذي كانَ سيَرْأَسُ حَفْلَ التَّتْويجِ: «لِمَ جِئْتَ في ثِيابِ راعٍ، يا مَوْلايَ؟ لا أَسْتَطيعُ تَتْويجَكَ قَبْلَ أَنْ تَلْبَسَ الثَّوْبَ المَلَكِيَّ.»



أَجابَ المَلِكُ الشّابُّ: «كَيْفَ تَقولُ كَلامًا كَهذا في قَصْرٍ بُنِيَ لِلإشْرافِ عَلى إحْقاقِ الحَقِّ؟ أَنَسيتَ أَنَّ الناسَ يُولَدونَ مُتَساوينَ.» ثُمَّ رَوى لِرَئيسِ مَجْلِسِ الشُّيوخِ أَحْلامَهُ الثَّلاثَةَ.

قالَ الشَّيْخُ بِنَبْرَةٍ حَزينَةٍ: «أَنا، يا بُنَيَّ، رَجُلٌ عَجوزٌ، وأَعْرِفُ أَنَّ في العالَمِ الكَثيرَ مِنَ الأُمورِ غَيْرِ العادِلَةِ. لَكِنَّكَ لا تَسْتَطيعُ مَنْعَ الظُّلْمِ. فأَرْجوكَ عُدْ والْبَسْ ثَوْبَكَ المَلَكِيَّ، فأُتَوِّجَكَ وأَضَعَ الصَّوْلَجانَ في يَدِكَ.»

مَشى المَلِكُ الشّابُّ مُتَجاوِزًا الشَّيْخَ، وصَعِدَ دَرَجاتِ مِنْبَرِ الخُطَباءِ، ورَفَعَ يَدَيْهِ وطَلَبَ مِنَ اللهِ أَنْ يُعينَهُ على أَنْ يَحْكُمَ بِالعَدْلِ. في هذِهِ الأَثْناءِ دَخَلَ عَدَدٌ مِنَ الجُنودِ مُشْهِري السُّيوفِ، يَصيحونَ: «أَيْنَ هُوَ هذا المَلِكُ المُتَسَوِّلُ؟ اُقْتُلوهُ! إِنَّهُ غَيْرُ جَديرٍ بِالحُكْمِ!»

اِلْتَفَتَ المَلِكُ الشّابُّ إِلَيْهِمْ يُواجِهُهُمْ. وأَشَعَّ في تِلْكَ اللَّحْظَةِ مَشْهَدٌ مَهيبٌ! فعَبْرَ زُجاجِ النَّوافِذِ المُلَوَّنِ تَدَفَّقَ ضَوْءُ الشَّمْسِ وغَمَرَ المَلِكَ الشّابَّ بِجَمالٍ ساحِرٍ، ناسِجًا حَوْلَهُ مِنْ حُزَمِ النّورِ رِداءً أَيْنَ مِنْهُ الرِّداءُ المَلَكِيُّ المُذَهَّبُ! وأَزْهَرَتْ عَصا الرّاعي زَنابِقَ أَشَدَّ بَياضًا وأَبْهى مِنْ لَآلِئِ الصَّوْلَجانِ. وتَأَلَّقَتْ وُرودُ إِكْليلِهِ بِاحْمِرارٍ أَشَدَّ نَقاءً مِن احْمِرارِ يَواقيتِ التّاجِ.

وَقَفَ المَلِكُ الشّابُّ وِقْفَةَ جَلالٍ ومَهابَةٍ، فأسْرَعَ الجُنودُ المَبْهورونَ يَرُدّونَ السُّيوفَ إلى أَغْمادِها ويَنْحَنونَ مَشْدوهينَ. وقالَ رئيسُ مَجْلِسِ الشُّيوخ لَهُ: «لَقَدْ تَوَّجَكَ مَنْ لَيْسَ فَوْقَ يَدِهِ يَدٌ.»

ثُمَّ عَلَتْ أَصْواتُ الأَبْواقِ، وتَرَدَّدَتْ أَناشيدُ الجَوْقاتِ، ودَخَلَتِ الجُموعُ القاعَةَ الكُبْرى في قَصْرِ مَجْلِسِ الشُّيوخِ. عِنْدَئِذٍ نَزَلَ المَلِكُ الشّابُّ دَرَجاتِ المِنْبَرِ ومَشى، لَكِنْ لَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ عَلى النَّظَرِ في وَجْهِهِ الَّذي كانَ أَشْبَهَ بِوَجْهِ مَلاكٍ.



تَسْعى مَكْتَبَةُ لُبْنان مِنْ خِلالِ هَذِهِ السِّلْسِلَةِ إلى تَعْريفِ الفَتى العَرَبِيِّ بِروائِعِ الأَدَبِ العالَمِيِّ، وإعْدادِهِ لِلدُّخول، فيما بَعْدُ، في عالَمِ القِصَصِ الخالِدَةِ مِنْ بابِهِ الواسِعِ. إِنَّنا نَعْتَقِدُ أَنَّ مِنْ حَقِّ أَبْنائِنا أَنْ يُكَوِّنوا فِكْرَةً صَحيحَةً شامِلَةً عَنْ نِتاجِ القِصَصِ الذّائِعَةِ الصِّيتِ في مُخْتَلِفِ أَنْحاءِ الأَرْضِ.

عَلى أَنَّنا نَثِقُ أَنَّ هَذِهِ القِصَصَ تَصْلُحُ، بِالشَّكْلِ الَّذي نُقَدِّمُها فيهِ، لِلْكِبارِ أَيْضًا، لِأَنَّنا حَرِصْنا عَلى أَلّا نَنْتَقِصَ مِنْ جَوْهَرِ الفِكْرَةِ الَّتي يَقومُ عَلَيْها العَمَلُ ومِنْ بناءِ الشَّخْصِيّاتِ كما أَرادَها المُؤَلِّفونَ.

وحَرِصْنا عَلى المُحافَظَةِ عَلى عَناوينِ الكُتُبِ الأَصْلِيَّةِ وكَذَلِكَ عَلى أَسْماءِ الأَعْلامِ والأَماكِنِ، كَما وَرَدَتْ في الأَصْلِ، رَغْبَةً في إِعْطاءِ صورَةٍ حَقيقِيَّةٍ عَنِ الجَوِّ العامِّ لِلْقِصَصِ، مِنْ حَيْثُ المَكانُ والأَوْضاعُ الاِجْتِماعِيَّةُ والأَحْداثُ التاريخِيَّةُ، وخِدْمَةً لِلْهَدَفِ الَّذي نَسْعى إِلَيْهِ وهُوَ تَمْهيدُ الطَّريقِ لِلتَّعَرُّفِ إلى الأَدَبِ العالَمِيِّ. عَلى أَنَّنا

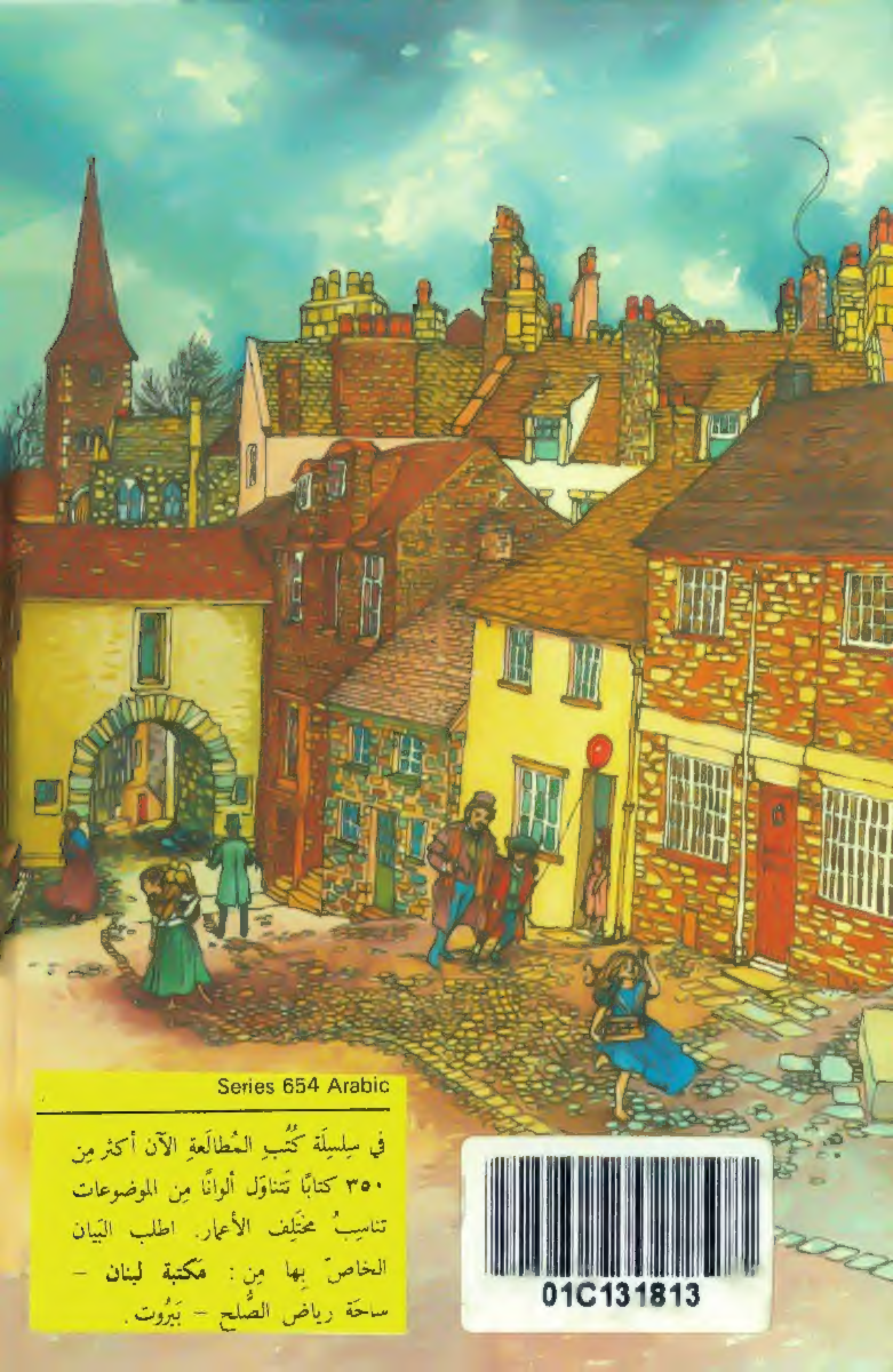
تَجَنَّبْنا الخَوْضَ في تَفاصيلِ الأَسْماءِ الَّتي لا تَتَعَلَّقُ مُباشَرَةً بِصُلْبِ المَوْضوعِ ولا تُؤَثِّر عَلى سَيْرِ الأَحْداثِ، وذلِكَ لِكَيْ لا نُرْبِكَ القارِئَ العَرَبِيَّ بأسْماءٍ ثانَوِيَّةِ الأَهَمِّيَّةِ، غَريبَةِ اللَّفْظِ قَليلَةِ التَّواتُرِ.

وتَمْتازُ هَذِهِ القِصَصُ كُلُّها بِأَنَّها شَديدَةُ التَّشْويقِ، وتَقومُ في غالِبِها عَلى المُغامَراتِ المُثيرَةِ. وأَكْثَرُ هذِهِ القِصَصِ المُخْتارَةِ كُتِبَتْ أَصْلًا لِتُرضيَ جُمْهورَ الشَّبابِ، وَهِيَ مِنْ هَذِهِ النّاحِيَةِ تُرْضي مَشاعِرَهُمْ ومَبادِئَهُمْ وحُبَّهُمْ لِلانْطِلاقِ واكْتِشافِ المَجْهولِ.

إنَّ هَذِهِ القِصَصَ جَميعَها، وإنْ تكُنْ في غالِبِها تَقومُ عَلى حُبِّ المُغامَرَةِ، تَتَناوَلُ أَصْدَقَ المَشاعِرِ الإنْسانِيَّةِ، وتُصَوِّرُ كِفاحَ الإنْسانِ لِتَحْقيقِ مُثُلِهِ العُلْيا دونَ أنْ يَعْبَأَ بالتَّضْحياتِ.

وزُوِّدَتْ كُتُبُ السِّلْسِلَةِ جَميعُها بِمُقدِّماتٍ تُعَرِّفُ بالمُؤَلِّفِ كما زُوِّدَتْ برُسوم مُلَوَّنَةٍ رائِعَةٍ تُضْفي جَوًّا مِنَ السِّحْرِ على أَحْداثِ القِصَصِ، وتُصَوِّرُ الخَلْفِيّاتِ الاِجْتِماعِيَّةَ والتاريخِيَّةَ أَصْدَقَ تَصْوير.

طُبِعَ في إنجلترا ١٩٨٥



Series 654 Arabic

في سِلسِلَة كُتُبِ المُطالَعةِ الآن أكثرُ مِن
٣٥٠ كتابًا تتناوَل ألوانًا مِن الموضوعات
تناسِبُ مختلِف الأعمار. اطلب البَيان
الخاصّ بِها مِن: **مكتبة لبنان** -
ساحَة رياض الصُّلح - بَيروت.

01C131813